تمسك لا تشدد!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين، أما بعد:

ففي هذه الأيام ظهرت طائفة من الناس الجهلة الأغبياء والأعداء الماكرين بالإسلام وأهله في كل وقت وحين، تدعو الناس إلى الاستسلام في صورة السلام والذلة والمهانة في صورة السماحة والرحمة.

وإنَّ مما ينبغي التفطن له وإدراكه جيداً أنّ الإسلام لا يمنع من التقدم في علوم وأحوال دنيوية بل إنّ الإسلام يُنعش ما كان صالحاً للتقدم في أمور الدنيا.

قال أمير المؤمنين المشهور بابن شهاب "العلم فيه نعشٌ للدين والدنيا".[1]

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة : "فقوام الدين والدنيا إنما هو بالعلم".

وللعلامة الشنقيطي كلام نفيس في هذه المسألة في أضواء البيان قال: "ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: هديُه إلى أن التقدم لا ينافي التمسك بالدين فما خيَّله أعداء الدين لضعاف العقول ممن ينتمي إلى الإسلام من أن التقدم لا يمكن إلا بالانسلاخ من دين الإسلام باطل لا أساس له، والقرآن الكريم يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أودين".[2]

فأعداء الإسلام خيَّلوا لضعاف العقول من المسلمين وغيرهم أنَّ النسبة بين التقدم والتمسك بالدين، والسمت الحسن والأخلاق الكريمة تَبايُنُ مقابلة كتباين النقيضين كالعدم والوجود والنفي والإثبات.

فخيَّلوا لهم أن التقدم والتمسك بالدين متباينان تباين مقابلة بحيث يستحيل اجتماعهما فكان من نتائج ذلك انحلالهم من الدين رغبة في التقدم، فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

والتحقيق أن النسبة بين التقدم والتمسك بالدين بالنظر إلى العقل وحده وقطع النظر عن نصوص الكتاب والسنة إنَّما هي تباين المخالفة.

والعجب كل العجب في أولئك الذين يلمزون من تمسك بالدين حق الالتزام بأنه مترمت ومتشدد، و...

فـ

اللـه أكبر في الدفاع سأبتدي ... وهو المعين على نجاح المقصدِ
وهو الّذي نصر النبيَّ محمّدًا ... وسينصر المتتبّعين لأحمدِ
وبه أصول على جميع خصومنا ... وأعدّه عونًا على من يعتدي
سأرسل سهمًا من كنانة وحيه ... وبه أشدّ على كتائب حُسَّدي
وبه سأجدع أنف كلّ مكابر ... وبه سأرصد للكفور الملحدِ
وسأستجير بذي الجلال وذي العلا ... لا لن أُضام إذا استجرتُ بسيّدي
وسأستمدّ العون منه على الّذي ... لمز الأحبّة بالكلام المفسدِ
لا تلمزونا يا خفافيش الدجى ... بتطرّفٍ وتسرّعٍ وتشدّدِ
لا تقذفونا بالشذوذ فإنّنا ... سرنا على نهجِ الخليل محمّدِ
ولكلّ قولٍ نستدلّ بآيةٍ ... أو بالحديث المستقيم المسنَدِ
والنسخَ نعرف والعمومَ وإنّنا ... متفطّنون لمُطلَقٍ ومقيَّدِ
ونصوص وحي اللـه نتقن فهمَها ... لا تحسبون الفهم كالرأي الردي
وإذا تعارَضَت النصوصُ فإنّنا ... بِأُصولِ سادتنا الأئمّة نهتدي
ونحارب التقليدَ طولَ زماننا ... مع حبّنا للعالِم المتجرّدِ
وكذا الأئمّة حبُّهم متمكّنٌ ... من كلّ نفسٍ يا بريّةُ فاشهدي[3]

وهذه قصيدة طويلة فيها رد على أولئك الأقزام الذين لم يعرفوا أنفسهم حق المعرفة، ويتطاولون إلى السماء رجاء إن يصلوا إلى أولئك العلماء العاملين وطلابهم النجباء الميامين.

فزلزلي يا أرض وأمطري يا سماء غيرة لمن ينتهك عرضه في سبيل التمسك بهذا الدين، ولا يسعنا إلا أن نقول لأولئك المخدوعين، من قبل العلمانيين: كفوا أيديكم وألسنتكم ولتخرس ولتشل عندما تتحدث عن أولئك الذين جعلوا من حياتهم شمعة

تضيء للعالمين.

إذا وصف الطائي بالبخـل مـــــــــــــــــــــــــــــادر
وعير قسا بالفهاهة باقلُ

وقال السها للشمس أنت ضـــــــــــــــــــــــــــــئيلة
وقال الدجى يا صبح لونك حائـــــــــــــــــــــــــــلُ

وطـاولت الأرض السـماء ســـــــــــــــــــــــــفاهة
وفـاخرت النجم الحصـى والجنـــــــــــــــــــادلُ

فيـــاموت زر إن الحيـــاة ذميمة
ويا نفس جدي إن عيشـك هـــــــــــــــــــــــازلُ[4]

وأكتفي بهذا القدر، والحمد لله رب العالمين.

---

1 أخرجه ابن المبارك في الزهد رقم (817)، وابن عبد البر في جـامع بيـان العلم وفضـله رقم(1018) وهو صحيح إلى ابن شهاب.

2 أضواء البيان للشنقيطي (435/3-438) ملخصاً.

3 من قصيدة طويلة للشيخ/ أحمد المعلم اليماني الحضرمي حفظه الله تعالى.

4 من قصيدة لأبي العلاء المعري.